

# نقد للصُّور المقترحة في إصلاح الكتابة العربيّة

للأستاذ مهدي الظالمي  
العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربي تجنبنا الخوض في المعركة وتركنا رجاها تدور فيما بين الهاجسين على الحرف العربي والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بانها معركة لها دوافع طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحا الى مقدار الجمالية في حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التي نشرناها ونشرها باستمرار ولعلنا نبدي رأينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلي تنويرا للاذهان .

1 - في اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثاني للطباعة ، اما الحرف العربي فهو واحد في كليهما وفي ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا في الحروف في المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 - واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكتروني فقد اصبح صف الحرف العربي اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 - كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوي فقد بقي على صورته وجماليته .

4 - ونحن من رأى صاحب المقال الاستاذ مهدي انطالي بأن هذه المحاولات قد فاتها الزمن ، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاو لو الاصلاح والمتهمون كلهم ما زانوا يعيدون ويكررون البحث في هذا الموضوع ؟ افلا نترك للأراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

مددوح حتى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس ( ص 219 ، ص 221 ) ..

واود ان اشير - قبل مناقشة الاقتراحين - الى ان الفكرة بجمعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة اصلاح الحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تادية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدأت بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتحويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والساترون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسللت الى اروقة بعض المجمع اللغوية فى البلاد العربية (4). وطرحها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقنوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبى ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحقها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندي والفارسى . وكان لجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقترح للاصلاح المزعوم ، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقس ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باعت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) . وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى افها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد

على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 - انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 - انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المألوفة .

3 - تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 - ان فيها من التعقيد والتكثير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربى » ، وربما كان فيهما من التشويه والتكثير اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالاتى : وعلى مقترح الاستاذ بلعباس ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما فكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 - ان المقترحين ينادان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضمن لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 - ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10).

واثبات التنوين — فلا يدرى حينئذ هل هذه الواووات والالفات ومثلها الياءات أمى حروف اصلية أم حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسى مارى الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما فى هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربى الجبيل .

3 — نحن فى كتبنا المطبوعة وفى كتابتنا اليدوية نستغنى عن كثير من الحركات ، اما فى ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تدمج فى جسم الكلمة ، فذلك يعنى الزام الكاتب وضع الشكل كاملا « وفى هذا بالطبع — علاوة على ما فيه من فرض راي الكاتب على القارىء من حيث الخطا والصواب — تطويل فى كتابة الكلمة طباعة وكتابة » (16) .

4 — وبالتالى نهل هناك ضرورة تصوى تفرض علينا ان نخرج من رسنا العربى البسيط الى رسم مركب معقد يساعد فى قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثها الضخم ؟

ونعود — اخيرا — الى ما ورد فى معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن فى دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائى ، فهو — ان صح — يعنى ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية فى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التى توليها الجامعة لباحث مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ان اللجنة التى افتتها الادارة الثقافية فى الجامعة للنظر فى تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول فى اواخر مارس عام 1956 رأت ان تنضم الى لجنة التيسير بالجمع وان توالى اجتماعاتها بدار المجمع للاطلاع على جهوده فى موضوع التيسير ، فعمل ان هذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود الميؤولة فى هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذى قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالمجامع اللغوية اكثر عمقا ... كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تناس هيئة منها فى موضوع تقوم هى على

7 — « ان الحروف العربية قد استعملت لا فى لغتنا فقط بل ان اما كثيرة ، اسلامية وغير اسلامية استعملتها ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا صلتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامة وصلتها بنا ايضا .

8 — ان الحروف العربية « لطول عهدنا بها قد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، فناها والفتها افواقنا ، وتكونت من هذه الالفه عادات ذهنية من الصعب علينا ان نعبل عنها الى غيرها لغير حاجة تضائية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلم يكن جديدا فى المحاولات التى زعمت اصلاح الحرف العربى فهو نفس الاقتراح الدائع الصيت الذى طرحه احمد لطفى السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو فى صورة هذه الحروف ، فهى عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندهما صورها المقترحة ، واقتراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا علمه ولا منصبه اخيرا كرئيس لجمع اللغة العربية فى القاهرة ، لم تستطع كل هذه الاعتبارات ان تقربه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبل الاب انستاس مارى الكرملى (14) — وهو من هو فى علو كعبه فى الدراسات اللغوية — ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 — انه يستدعى تطويلا فى الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمال فى الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربى من ميزته الفذة ( الاختزال ) ، يقول العلامة ( نللينو ) فى معرض رده على الاقتراح الداعى الى استعمال الحروف اللاتينية يؤول عن الحرف العربى : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15) .

2 — فى حالة تطبيق مثل هذا الاقتراح سيحصل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلية « محمد » عنده ينبغى ان تكتب « موхамمادون » — وكان من مقترحه فك الادمغام

خدمته « انه بطرحه لهذه النماذج من الحروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدأت تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما ينبغى ان يكون .

عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللسان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

وختاما ، ليس من حق الانسان العربى ان يتساءل

- 1 — قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية : « اننى اوثر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجاء الصالح على ان اشعر ثانية فى تعلم اللغة العربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص 176
- 2 — من امثال دعوة « ولهم سبينا » عام 1880 لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينية فى كتابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . ورددها القاضى الانكليزى « ولور » فى كتابه « لغة التاهرة » عام 1903
- 3 — يلاحظ هذا فى كتاب « ياره — شعر » لسعيد عقل والذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخ ص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربية » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .
- 4 — طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروف اللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثة اعوام ( يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينية » ) .
- 5 — امثال المستشرق الفنلندى « يوحنا اهتين كرسكو » ( يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 — 486 الصادرة عام 1924 ) نقلا عن حاضر اللغة العربية ص ( 175 ) .
- المستشرق « نلليو » الذى دافع عن الحرف العربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به ( يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 — 355 ) .
- 6 — يلاحظ مجمل هذه الدواسة فى « مجموعة البحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامسة والعشرين ابتداء من ص 77 »
- 7 — اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هذه الصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .
- 8 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة : 25 ، ص 77 .
- 9 — المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .
- 10 — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر : الدكتور نفوسة زكريا سعيد ص 219 .
- 11 — المصدر السابق ص 219 .
- 12 — يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية » 2 — 351 .
- 13 — المصدر السابق 2 — 255 .
- 14 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة : 25 ص 79 .
- 15 — المصدر السابق ص 81 .
- 16 — اللسان العربى ج 1 م 9 .